« ما التجديد إلا فى الجوهر ، ما التجديد إلا فى استبدال أصول الشعر القديم بأصول غيرها ، فأما أن نحتفظ بالجوهر ، ونبدل فى العرض ، فليس ذلك بشىء »[1]. ويقول :

« وكذلك لم يوفق الشعر العربى إلى تبدل فى الكنه والجوهر، فمنذ نضج قبل الإسلام ، وتحدد قالبه ظل أسير هذا القالب ، ولم يستطع أن يتخلص منه مهما جد فيه من الصور والأشكال . ولقد أتيح للشعر العربى بعد عصر نهوضه عهدان كان حرياً أن يستحيل فيهما — لو اهتدى الشعراء حقاً إلى الخلق والابتكار ازدهي فى أواخر القرن الأول بحضارة الإسلام ، جيشان النفس العربية ، وجاء الشعر الإسلامي رائعاً جليلا كالذى أخرجته الجاهلية ، أو أحسن . ولكن هذا الازدهار كان على مثال الشعر الجاهلي ، فلم ينظر الشعراء فى القرآن لغير الصناعة وبعض المعانى ، ولو أنهم تمعنوه لوجدوا فيه أساليب من القول ، وضروباً من الفن الأدبى كان يسيراً عليهم أن يحتذوها . فى القرآن مثلا الأسلوب القصصى ، وتاريخ الأقدمين ، وقصص الأنبياء . وتلك أمور تزيد فى روحية الأدب وتمد الشعراء بالأخيلة والإلهام . وحسبنا أن نقول إن الفرس جيران العرب قد انتفعوا بذلك ، فاستقوا منه فيضاً لشعرهم القصصى ، وحسبنا أن نقول إن الغربيين المحدثين استلهموا سفر التكوين فأوجدوا من قصة إبليس وآدم ، وقابيل وهابيل ، والجنة والنار واليوم الآخر شعراً قصصيا يرمي إلى الكثير من شئون الاجتماع . وهذه القصص واردة فى القرآن فى أحسن معرض بيان وأكمله ، وهذه القصص لم ينتفع بها شاعر عربى فى أى عصر . وغنى عن البيان ما كان فى الحياة الاجتماعية فى القرن الثانى من تنوع وتعقد ، واختلاف فى طبائع وأمزجة ،

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٤ — ١٠٥ .